سلسلة بحوث ومصادر

عن حياة الإمام كاشف الغطاء (قده)

تصدر من مكتبته العامة – ومدرسته الدينية

(٦)

هكذا عرفتهم

خواطر عن أناس أفذاذ عاشوا بعض الأحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم

تأليف جعفر الخليلي

الجزء الاول

مكتبة الامام
من مخطوطات آل كاشف الغطاء العامة

هكذا عرفتهم

خواطر عن اناس افذاذ عاشوا بعض
الاحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لانفسهم ٠

تأليف
جعفر الخليلي

١٩٦٣

مطبعة الزهراء ـ بغداد ـ شارع المتنبي

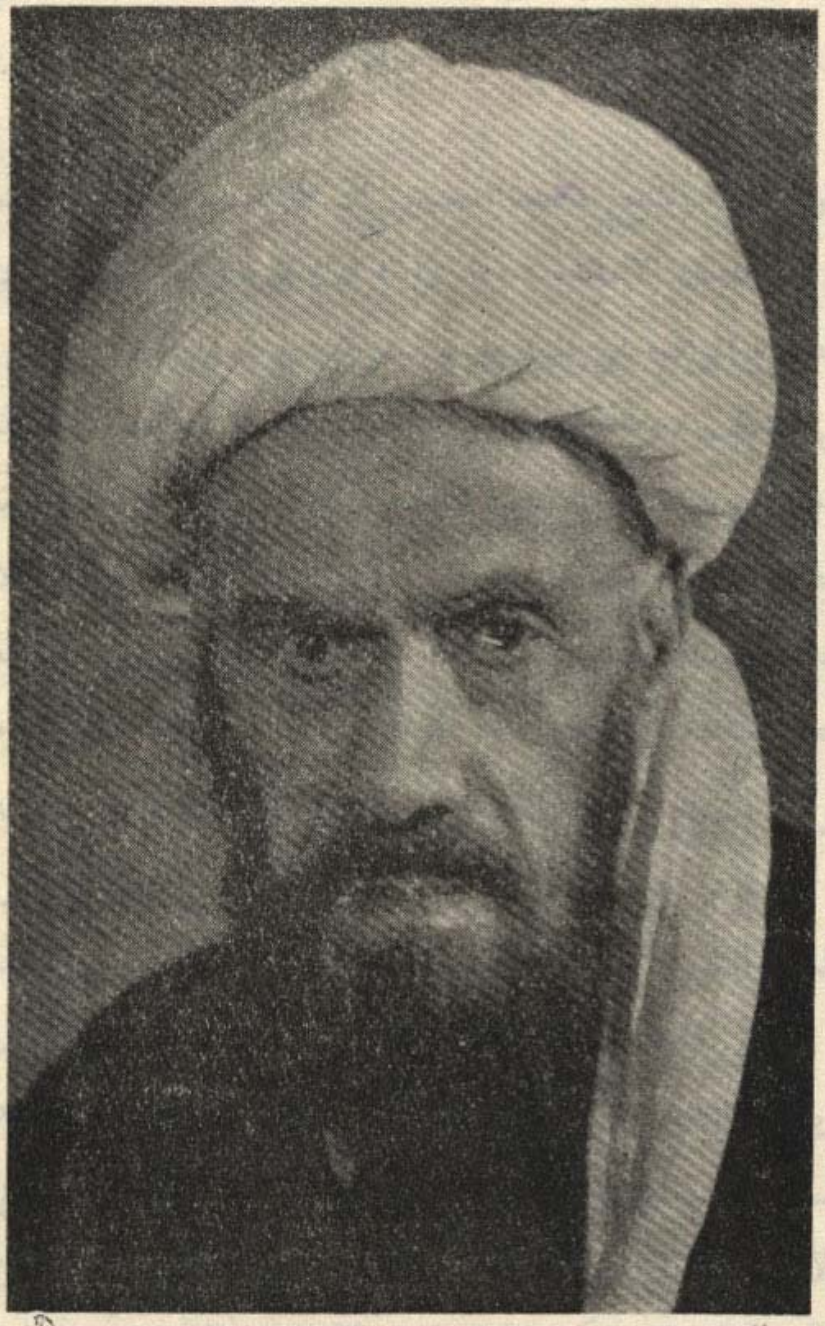

الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء

الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء[1]

مكتبة الامام
محمد الحسين آل كاشف الغطاء
النجف الاشرف

لم تكن شهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء يوم وعيت تتجاوز شهرة استاذ من افاضل الاساتذة ، وقد رأيته اول مرة وهو يباحث عددا من طلاب العلم فى الحجرة الواقعة فى الزاوية من الركن الجنوبى الشرقى من الصحن الشريف فى النجف ، وما زلت اذكر اول ملتقاى اياه ، واتصور هيكله حينذاك ، فلقد كان رجلا طويل القامة ، اسود اللحية ، حلو التقاطيع ، تدل ملامحه وهو بدخل الحجرة ويخرج منها على شخص كثير الثقة بنفسه ، وكثير الاطمينان من مقدرته ، ثقة واطمينانا خالصين من أية شائبة من شوائب الغرور والعجرفة التى عرف بها بعض اساتذة العلم ، وكلما فهمت ـ وانا فى مبتدأ الطريق من دراسة الادب ـ هو ان الشيخ محمد الحسين من اساتذة العلم المرموقين ، وانه فوق ذلك كاتب مبدع ، وشاعر بليغ ، ولكننى كنت قد سمعت باسم اخيه الاكبر المرجع الروحانى الكبير الشيخ أحمد كاشف الغطاء (واند الاستاذ عباس كاشف الغطاء مدير البنك اللبنانى المتحد الحالى) قبل ان اسمع باسمه ، وكنت قد رأيت الشيخ احمد وهو يصلى بالناس كل يوم فى الصحن قبل ان ارى الشيخ محمد الحسين ، وكنت قد سمعت باسم ابيهما الشيخ على آل كاشف الغطاء قبل ان اسمع باسميهما ، فلقد كانت لابيهما الشيخ على آل كاشف الغطاء شهرة كبيرة كسبها من سفره الى اسطنبول ومقابلته السلطان وكبار الوزراء ، والقادة ، والعلماء ، واقامته فى اسطنبول زمنا طويلا .

وان رؤية اسطنبول ، ومقابلة السلطان ، والوزراء ، والقواد ، والقضاة ،

---

(١) جريدة الايام العدد ١٣٥ ـ ١٩٦٢/٩/٢٣ .

ورجال العلم فى ذلك اليوم لا يعد له فى هذا اليوم شىء حتى الطواف بالدنيا كلها والتعرف بجميع شخصيات العالم من الميكادو الى الباندیت نهرو فخروشيف فالملكة اليزابث فادیناور وكندى وكل رجال الدنيا وشخصياتها ، فلم يكن يجىء ذكر الشيخ على كاشف الغطاء الا وتفغر الافواه اعجابا بهذا الرجل الذى رأى كل هذا ، واجتمع بكل هؤلاء القادة والرجال ...!!

وزاد احترام الانكليز له فى اثناء الاحتلال ، واعتبارهم الاسناد والاوراق الموقعة من قبله اوراقا رسمية لها حكم اسناد الطابو وحكم الاسناد المصدقة من كاتب العدل ..!! لقد زاد هذا شيئا من احترام الكثير من الناس له وان كان احترام كهذا من جانب الانكليز قد قلل بعض الشىء من شأنه عند الاحرار والوطنيين .

وهنالك شىء آخر له قيمته فى شهرة الشيخ على ثم فى نشأة ولديه ـ الشيخ احمد الذى صار بعد ذلك مرجعا من اكبر المراجع الدينية وزعيما كاد ينفرد بزعامة الشيعة وحده ، ثم تلاه أخوه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء الذى صار هو الاخر من أكبر الزعماء الروحانيين بعد اخيه ـ الا وهو المكتبة ، فقد كان للشيخ على كاشف الغطاء مكتبة انفردت بالكثير من الكتب العربية المفقودة وضمت مئات من الكتب النادرة التى بذل الشىء الكثير للحصول عليها ، وكانت تعتبر المكتبة الاولى فى الشرق من حيث جمعها للنادر والمفقود من الكتب ، وعلى الرغم مما بيع منها بعد وفاته فهى اليوم لاتزال فى عداد المكتبات المهمة وان كان مجموعها لايزيد على بضعة الاف كتاب جمعها بشق الانفس كما يقولون ، ولقد روى فيما روى عن حرصه فى اقتناء الكتب انه بينما كان منهمكا مرة فى نقل كتاب خطى فى أحد الجوامع باسطنبول اذ جاءه أحد الضباط للقبض عليه بناء على أمر السلطان عبدالحميد الثانى متهما اياه بالتواطؤ مع (ابى الهدى) فى تدبير مؤامرة سياسية نمت عليها قصيدة نسب نظمها الى ابى الهدى ، وابو الهدى هذا كان من اقرب المقربين الى السلطان عبدالحميد .... ولكن الشيخ على قال للضابط :

ـ كل من حدثك بانى سأترك عمل استنساخ هذا الكتاب قبل ان اصل الى

نهاية الفصل الذى يستلزم الانتهاء من استنساخه نحو ساعة أو اكثر فلا تصدق ذلك ...

وهكذا اضطر الضابط بداعى الاحترام ، الى الانتظار حتى يتم الشيخ نقل هذا الفصل من الكتاب ، وبعد ان قبض عليه انكشف الامر عن بطلان تلك التهمة واطلق سراح الشيخ على وابى الهدى واجزل له العطاء من السلطان ومن صديقه ابى الهدى .

لقد كان الشيخ على يجمع كتبه على هذا النحو من الحرص والتهالك ، حتى اتم جمع تلك المكتبة النفيسة الثمينة .

وكان لهذه المكتبة شأن كبير فى مد ذينك الاخوين العالمين الكبيرين بتلك الثقافة الواسعة فى أول نشأتهما وقبل انفصالهما عن ابيهما ، وكان لتلك المكتبة صدى كبير فى الاوساط العلمية ، وعلى رغم حرص الشيخ على على تلك الكتب فقد كان لايتوقف عن اعارة الكتاب للكثيرين ممن يعرف ومن طريق اعارته بعض الكتب النادرة لوالدى استطعت ان اعرف اصل هذا الشيخ وفصله ، وشيئا عن بيته ، وآله ، واستطيع ان اوكد بان الشيخ على لم يكن يمتنع عن اعارة الكتاب حتى للمشكوك فى اهتمامهم بالكتب ، والمحافظة عليها ، وكان من اولئك الشاعر محمد مهدى الجواهرى الذى اعتاد ان يستعير بعض الكتب منه ، ويعيدها اليه سالمة صحيحة ، ذلك لان الشيخ على لايمتنع اذا ما تأخر ميعاد اعادة الكتاب ان يبعث بخادمه فيجر المستعير اليه جرا ، ولن يمتنع من ان يلقيه ارضا ، وينزل فيه ضربا ، بتلك العصا الغليظة التى كان يستعين بها فى مشيته .

واذكر مرة – والشىء بالشىء يذكر كما يقولون – ان الشيخ هادى الخضرى قرأ للشيخ على كاشف الغطاء بيتين من الشعر يتضمنان طلب جبة أو قباء ، فاستحسن الشيخ على البيتين ، ونادى الخادم فجاء له بجبة من جبه والبسه اياها ، وبعد يومين وهو يقلب الصفحات فى كتاب (نفحة اليمن) استقصاء لموضوع كان قد شغل باله ألفى البيتين مسطورين هنالك !! وعلى رغم ان الوقت لم يكن مناسبا فقد بعث خادمه يدعو الشيخ هادى فى تلك الساعة من الليل اليه وحين جاء به انهال عليه بعصاه والشيخ هادى يستغيث ويطلب معرفة السبب ...!!

قال الشيخ على ـ وقد انهك يده الضرب ـ اريد ان اعرف مأتى هذه الجرأة التى تحملك على ان تسرق بيتين من نفحة اليمن وتنتحلهما لنفسك لتستجيزنى عليهما جبة ؟

فقال الشيخ هادى ـ ولكن من قال لك اننى انتحلت البيتين ؟ ان الامر ليس اكثر من انى قرأت عليك البيتين متمثلا فاكرمتنى جبة ... فعلام كل هذا الغضب وهذه الشدة ؟

ولعل اول باب فتح لشهرة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى خارج النجف كان عن طريق المراسلات التى جرت بينه وبين أمين الريحانى تلك المراسلات التى تتضمن تبادل آراء فى ردود اعجبت جميع قراء العربية على اختلاف نحلهم ، ثم جمعت وطبعت باسم (المراجعات الريحانية) ، وعلى انى قرأت هذه المجموعة فى ذلك الوقت البعيد ، فلم يزل يعلق بذهنى شىء غير قليل منها .

وعلى ان الشيخ محمد الحسين كان اقل تقيدا بالتقاليد من العلماء الروحانيين الاخرين وأقل مراقبة للرأى العام وأكثر العلماء جرأة فقد حاول التهرب من مقابلة أمين الريحانى فى اثناء زيارته للنجف مراعاة للسواد الذى كان يعتبر الريحانى ملحدا ، او ممالئا للانكليز على الاقل ، او لشىء آخر تبادر الى ذهن الشيخ فرأى الشيخ ان من الصلاح الاعراض عنه .

ومع ذلك فقد تمت هذه المقابلة ، ووقع نظر الريحانى على مسودات اوراق كانت امام الشيخ ، فسأل عنها فقيل له ـ انها مسودة رسالة للشيخ تتعلق بالفرائض الدينية من صلاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ، فقال الريحانى يخاطب الشيخ بهذا المعنى :

« .. ان الذى اعرفه هو انك لم تخلق لهذا فانت ارفع شأنا من ان تقضى وقتك بمثل هذه الامور وتعاف اصلاح المجتمع .. » .

وحين هم الريحانى بالقيام من عند الشيخ قال : « لقد كان الامام كاشف الغطاء من اعز اصدقائنا فافسده الدين علينا » .

وظل الناس يتحدثون عن زيارة الريحانى للشيخ طويلا ، وعما دار بينهما من

احاديث ادبية ، واجتماعية ، ودينية ، عامة ، وخاصة ، ولكن الشيخ لم يسلم من النقد والمؤاخذة من لدن الكثير من اولئك المتعصبين الجامدين الذين كانوا لايرون من حق الروحانيين ان يصادقوا اشخاصا من غير دينهم ، وعلى غير طرائقهم .. ، ومع ذلك فلم يعدم الشيخ الجماعات التى كانت تؤمن برسالته ، وتذب عنه ، وتدافع عن مثل مصادقته للريحانى وتأسيه بصداقة الشريف الرضى والسيد المرتضى للصابىء التى كان من امرها ان رثياه بتلك المرثيتين المعروفتين ....

وهذا اللغط قد نبه الكثير ممن لم يكن منتبها بعد الى مقام الشيخ محمد الحسين ، وعلو كعبه ، ولاول مرة يلتفت الناس الى ان روحانيا من طراز جديد سيتبوأ مقام الزعامة الروحانية ، وذلك قبل ان يتاح لهم ان يسمعوا فتاواه ، ويشهدوا أحكامه ، وان كانوا قد شهدوا شيئا من هذا التجديد عند اخيه الشيخ أحمد من قبل .

وتأيد رأى اولئك ، كما اتسعت دائرة شهرة الشيخ اكثر واكثر حين انعقد اول مؤتمر اسلامى فى القدس ، وحين توحدت الفرق الاسلامية من الوفود وغير الوفود على اختلاف مذاهبهم فائتمت به فى صلاتها فى ذلك المسجد الكبير ، واقبلت الصحف وحتى الصحف الاجنبية تتوسم فى هذا الاتحاد ـ اتحاد المذاهب والطوائف الاسلامية تحت زعامة كاشف الغطاء ـ خطورة كبيرة ، وتتوقع ان يضمن المستقبل خلق زعماء روحانيين من طراز الشيخ محمد الحسين يستطيعون ان يقضوا على الكثير من الاختلافات الطائفية خصوصا لما كان لخطبه البليغة الرنانة من الاثر العميق فى النفوس .

وحين عاد الشيخ محمد الحسين من المؤتمر الاسلامى كانت شهرته العامة بالاضافة الى شهرته العلمية كاستاذ برع فى تدريس العلوم الدينية براعة جعلت طلابه يمتازون على الكثير من طلاب الدين فى اتساع افكارهم ، وتحرر عقائدهم ، تحررا نسبيا وعلى الاخص فى طريقة اجتهادهم اقول كانت هذه الشهرة قد شقت له طريقا لا حبا بين طرق زعماء الدين الملتوية .

وعرف الشيخ محمد الحسين عن طريق التجديد فى الاجتهاد والفتاوى وسعة العلم وعن طريق الادب الذى كان قد مكنه من الشعر والنثر تمكينا قويا وجعل منه فذا من الافذاذ ، ولكنه كبشر لم يستطع ان يتجرد عن العاطفة التى كانت تتحكم فيه احيانا فقد كانت بينه وبين السيد (ابى الحسن) الاصفهانى الموسوى ـ وكان (السيد ابو الحسن) حينذاك قد انفرد بزعامة الشيعة فى مختلف جهاتهم انفرادا كاد ان يكون مطلقا ـ لقد كانت بينه وبين السيد ابى الحسن حزازات ليس هذا موضع شرحها ، وقد حملته هذه العواطف اى حملت الشيخ على ان يتناسى ولو لحين فكرة التجديد ، ومبدأ الاجتهاد الذى يجب ان يتمشى فيه العقل والنصوص الدينية جنبا الى جنب ، فمضى يناوىء اتجاه (السيد ابى الحسن) الذى كان قد ايد السيد محسن الامين فى تحريم شج الرؤوس بالسيوف ، وادماء الصدور باللطم ، والضرب عليها فى يوم عاشوراء ، اذ كان السيد ابو الحسن قد اعتبر ضرب الظهور بالسلاسل ، وشج الرؤوس بالسيوف واللطم على الصدور ، ودق الطبول والصنوج ، مما كان يجرى فى ايام عاشوراء بدعة من البدع التى يحاسب عليها الله ، ومع ان مثل هذا التحريم كان من مبادىء الشيخ محمد الحسين وكان مما يتفق واتجاهاته الاصلاحية ولكن العواطف كانت قد عملت عملها فلم يؤيد السيد ابا الحسن فى فتاواه وقوبلت فتاوى السيد بحملة قوية من الحملات الرجعية التى غذاها خصوم السيد ابى الحسن واستغل السيد صالح الحلى سكوت الشيخ وعدم تأييد السيد أبا الحسن فى حملاته المختلفة على (السيد ابى الحسن) تلك الحملات التى عملت عملها فى وقتها ، ولكن (السيد) ما لبث ان استظهر عليها حتى تلاشت مع الزمن ، الا انه لم يستطع ان يلغى (التطبير) والتزمير ، والتطبيل ، ودق الصدور الذى بدأ يتضاعف يوما بعد يوم حتى يومنا هذا .

وكنت يوم ذاك الى جانب السيد ابى الحسن ، بل اننى لم اكن قد تعرفت بالشيخ محمد الحسين عن قرب بعد ، وان كنت اعرف ان أبى من اصدقائه ، وقلما كان يتخلف عن زيارته ، اما هو فقد رأيته فى بيتنا عدة مرات ، وأكثرها كان على أثر زلة قدم أبى فى الحمام التى كسرت بسببها ساقه فلازم الفراش قبل ان يجبر الكسر

مدة طويلة مكنتني ان ارى فيها الشيخ محمد الحسين عن كثب وهو يتفضل بزيارتنا عدة مرات ، ولا اكتم القارىء ، لقد كنت اشعر بعدم الميل اليه يومذاك بسبب موقفه من حركة السيد (ابى الحسن) الاصلاحية ولم اكن ادرى ان الانسان لايستطيع ان يعرف نفسه بعض المعرفة الا بعد زمن طويل ، وحين اصدرت جريدة الفجر الصادق تحاشيت على قدر الاستطاعة تأييده ، وصرت اهاجم السيد صالح الحلى الخطيب الشهير الذى شن غاراته على السيد ابى الحسن ـ مستندا على تأييد الشيخ ـ وكانت مهاجمتى للسيد صالح حقة ولكنها كانت قاسية عبرت عن طيش الشباب وحرارته وغروره لحد كبير .

والحقيقة ان مصاحبة السيد صالح الحلى للشيخ واستناده عليه قد الحق بسمعة الشيخ محمد الحسين بعض الضرر ذلك لان السيد صالح قد اشتهر ـ حقا أم باطلا ـ بكونه رجلا زمنيا يستجيب لعواطفه الآنية دون الالتفات الى المصالح العامة، والدواعى العقلية ، والفكرية ، ثم هو بعد ذلك جرىء فى الحق والباطل ، جرىء فى الجد والهزل ، وقد يسلك فى مزاحه مسالك وعرة ملتوية ليس هذا محل شرحها ولقد صادف مرة ان مر السيد صالح بحرم الامام على (ع) والشيخ محمد الحسين يصلى بالناس فى الرواق ، ومن عادة الشيخ محمد الحسين ان يجهر فى الصلاة ويتلو الايات مفخمة مضخمة بعض التفخيم والتضخيم ، وما كاد السيد صالح يسمع الآية الكريمة (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) متلوة على فم الشيخ بذلك النحو من الاداء المفخم ، المضخم ، حتى قال يخاطب الشيخ مازحا وهو مار من امامه :

ـ انك يا سيدى كسمك ابى خريزه (السردين) والله لو ظللت انفخ فيك دهرا لما كبرت ، ولما صرت حوتا قال السيد ابى الحسن ، فعلام هذا التفخيم والتضخيم للرحمن الرحيم مالك يوم الدين؟!! .

وحين اتيح لى بعد ذلك ان اتصل بالشيخ ـ وان اكون مغمورا بالطافه بحيث بلغ من دالتى عليه ، ومن اللطف الذى افاضه على ، ان صرت لا امتنع ان امشى معه فى صراحتى الى أبعد حد ممكن اذا لم استطع ان امشى الى النهاية ـ اقول وحين اتيح

لى ذلك لم أخف عنه ماكنت اشعر به فى السابق من عدم الميل اليه واسباب ذلك ، وقد ازددت حبا له بل كدت اعبده عبادة حين رأيته يجيبنى بهذه الآية ولا يزيد عليها قائلا :

ـ « عفا الله عما سلف » .

وكررها مرتين ... وهناك تجسمت لى طهارة نفسه ، وتجلى لى صدق ايمانه ، وابتعاده عن التدجيل وكان بامكانه لو اراد ان يورد لى الف عذر وعذر من الاعذار المعقولة عن مواقفه السالفة لفعل ولكنت قد قنعت ...

وشخصان لم ادع غيرهما (عما) لى ، وان لم يكونا لى عمين حقيقيين ، احدهما الشيخ عبدالكريم الجزائرى ، وثانيهما الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وهما الاخران كانا لايفضلان لقبا او نعتا ينعتاننى به غير العمومة ، فاذا ما قلت لاحدهما مثلا ـ كيف ترى (يا عمى) ان يكون الامر الفلانى ؟

رد على قائلا سيكون كذا وكذا (يا عمى) ...

وعلى رغم خروجى على حدود هذا الادب فى بعض الاحيان لاسيما حينما اكون غاضبا وحين أتغافل عن استعمال هذا النداء واخاطب الشيخ محمد الحسين بالخطاب المتعارف قائلا له ـ يا شيخنا ! ويا مولانا ويا سيدى .. فانه لم يغير خطابه ولم يرد على بغير ماكان يرد قائلا : يا عمى ....

وحين نجحت الحركة القبلية فى الفرات التى تزعمها هو فى اواخر سنة ١٩٣٤ وفى أوائل سنة ١٩٣٥ والتى استغلها ياسين الهاشمى وجماعته من العشائر التى كانت قد التفت حول الشيخ محمد الحسين وفى طليعتهم كان الحاج عبدالواحد الحاج سكر ، والسيد محسن ابو طبيخ ، تلك الحركة التى اطاحت بوزارة على جودة الايوبى اولا والمدفعى ثانيا ، وجاءت بوزارة الهاشمى كاد الشيخ محمد الحسين ينجرف بتيار الحزبية وكاد يستكين ، ويستسلم ويتناسى زعامته الدينية من حيث لايدرى فقد استطاع زعماء العشائر وكلهم كانوا من الحزبيين ان يجروا الامام الى جانبهم فيحققوا بذلك الاطاحة بحكومة المدفعى وعلى

جودة الايوبى خصوصا وقد لقوا من جانب الشيخ عبدالكريم الجزائرى تأيـــدا كبيرا ، وكان ما عرف عن الامام كاشف الغطاء من طيبة القلب ، وسماحة النفس ، والاعتقاد ببراءة الذمة ، ما ساعد على اختفاء اغراض هؤلاء الشيوخ الحزبية وانطلاء اغراضهم هذه عليه فقد بدوا انهم لايريدون الا الاصلاح الذى يدعو اليـــه الامام كاشف الغطاء ، حتى اذا جاء الهاشمى الى الحكم تكشفت النيات ، واذا بهم يحاولون جر الشيخ الى تأييدهم بصفتهم الحزبية ... ولم يبق منهم على اخلاصه وعهده الا القليل وكان من هذا القليل الشيخ خوام العبدالعباس ...

وكنت يومذاك لا ازال فى ريعان الشباب ، وكنت حاد المزاج ، وكنت اصدر جريدة الراعى ، ولم تزل فىّ بقية من تلك الحرارة التى ادرت بها جريدة الفجر الصادق الهائجة الصاخبة من قبل ، فهجت ، ودفعتنى الغيرة على مقام الشيخ ، ومركزه ، فجئته وانا احرق الارم غيظا ، وقلت له ـ ماذا تعمل يا سيدى بنفسك ..؟ اتريد ان تتنازل عن الزعامة الروحية الى ياسين الهاشمى ..؟

فتجهم وجهه وقطب جبينه وقال :

ـ ولكن ما الذى ترانى عملت ياعمى ؟

قلت ـ وما الذى تريد ان تعمل ؟ فلقد اصدرت ذلك (الميثاق) تحت تأثير نفر استغلوا طهارة نفسك وكان ينبغى ان لاتثق بهولاء وان تحتاط والان تريد ان تندفع فى تأييدك لياسين الهاشمى اكثر من السابق لتمكنه من التنكيل بالطرف الاخر من الاحزاب والعشائر ...؟ (وكنت فى ثورة لاتوصف من الهياج) والميثاق الذى اشرت اليه هو مواد وشروط بلغت نحو ١٤ شرطا على ما اذكر ، لم تخل مـــن تطرف كان يجب ان يخرج بشكل آخر ، وقد حسن وضعه بتلك الصيغة نفر من المتطرفين كانوا قد جاؤوا من بغداد وسائر جهات الفرات ، وكان ابرزهم ذيبـــان الغبان الذى صار نائبا فى المجلس بعد ذلك ، وقد طبع هذا الميثاق ووزع على الجماهير فى حينه وكانت المواد والشروط تدعو الى التجزئة والانقسام والى امور ليس هـــذا محل ذكرها وذكر كيفية وضعها وطبعها .. وكان اغلب رؤساء العشائر تؤيده ليس لشىء الا لغرض الاطاحة بالوزارة والاتيان بياسين الهاشمى .

واحسست ان الشيخ بدأ يهدأ فقال :

ـ ولكن من قال لك (ياعمى) انني سأمضى فى تأييدى لياسين الهاشمى الى هذا الحد الذى تقول ؟

قلت ـ ليس من اعتراض ان تمضى فى تأييد من تريد من الساسة لو كنت سياسيا ، اما وانك زعيم روحانى فلا يسوغ لك باى وجه من الوجوه ان تميل الى جهة دون جهة وانت فى هذا المركز من الزعامة الروحانية .

ولست ادرى أأنا الذى وقفته بعد ذلك حيث وقف ؟ ولكنى ادرى ان خطته قد تبدلت ، وقد سبب هذا التبدل ارفضاض اولئك الزعماء عنه خصوصا بعد ان عجزوا عن ضمان تأييده لهم ، وكان ان اصدر السيد محسن ابو طبيخ كتابا باسم (المبادىء والرجال) عرض فيه بالامام ، فكان ذلك من الادلة على اختلاف النيات والاهداف فقد كان الامام يريد شيئا ، وكان اولئك يريدون شيئا آخر ظل مضمرا فى صدورهم حتى قامت الوزارة الهاشمية .

اقول ولست ادرى أأنا الذى وقفته حيث وقف ، ولكن الشيخ قد تبدل ، وقد لحقنى بسبب هذا الاتصال وبسبب سفرى الى الشامية الشىء الكثير من المضايقات ، وقد بدأت السلطة تطاردنى منذ تلك الساعة ، ونالنى من حقد رشيد عالى الكيلانى ، وسوء ظنه اذى كبير ، وقد سحب امتياز جريدة الراعى منى ، وعطلتها الحكومة الى الابد ، ولم يدع صالح حمام ـ وكان يومها وكيلا لقائمقام النجف ـ وسيلة من وسائل التنكيل الا واستعملها معى ومع بعض اسرة الجريدة القلمية ، وكان موسى كاظم نورس يومذاك مأمورا لدائرة بريد النجف ، وكان من اسرة الجريدة القلمية فى الطليعة ، ومن السواعد التى قامت جريدة (الراعى) ثم (الهاتف) على تأييدها الادبى وشد ازرها ، وكان صالح حمام قد ناوأ موسى كاظم نورس مناوأة قوية لعدم تمكين نورس اياه من الاشراف على المخابرات التلفونية والبرقيات كما كان يريد وذلك لعدم وجود نص قانونى يخول القائممقام مثل هذا الاشراف ، وصادف ان اتصل بى داخل الشعلان تلفونيا من بغداد طالبا منى السعى لدى الشيخ محمد الحسين بالاسراع فى اجابة كتابه الخصوصى الذى كان قد بعث به الى الشيخ فكان صالح

حمام يتحرق لمعرفة ماهية هذا الكتاب ومضمونه ، وما كان قد جرى بينى وبين داخل الشعلان من حديث بالتلفون مع انى انا نفسى يعلم الله لم اكن اعرف اى شيء عن هذا الكتاب وفحواه ، ولم اكن فى الامر اكثر من وسيط ظن بى داخل الشعلان الخير فكلفنى بمتابعة كتابه عند الشيخ واشتدت الخصومة والشكاوى الرسمية السرية بين صالح حمام وموسى كاظم نورس وانتهى الامر باستظهار موسى كاظم عليه فظن صالح حمام ان لى فى هذا الاستظهار يدا فزاد ذلك من غضبه ، وراح يهاجم الراعى ، وصاحبه ، بكل ما يملك من مجهود سرا وعلانية .

وعلى ان (الشيخ) قد جمع نفسه ، او هو قد بدا يجمع نفسه ، ولكن الجهة الثانية وهى الجهة المعارضة لياسين الهاشمى وجبهته قد سخطت على (الشيخ) ووصمته بالحزبية ، وكان معظمها يتألف من قبائل الشامية ، وكان علوان الحاج سعدون يومذاك على رأسها فخسر الشيخ فى يومه الجبهتين ، ووقعت بينه وبين البلاط الملكى جفوة ، واحسب انها هى التى حملته على ان يقول عن الملوك ما تضمنته مقطوعته الشعرية التالية ، اما الانكليز فكان يكرههم ، ويندد بهم اينما اتسع له ذلك ، وله فيهم اقوال كثيرة ربما كانت على خلاف رأى ابيه الشيخ على .

ومن اقواله الكثيرة ما يلى :

كم نكبة تحطم الاسلا م فيها والعرب
والانكليز اصلها فتش تجدهم السبب
بل كل ما فى الارض من ويلات حرب أو حرب
هم اشعلوا نيرانها وصيروا الناس حطب
واستخدموا ملوكنا لضربنا ولا عجب
فملكهم بفرضهم كان والا لا نقلب
هم نصبوا عرشا لهم فى كل شعب فانشعب
واسوأة .. ان حدث التاريخ عنهم وكتب

ولقد شاع آنئذ ان هذه القبائل التى يرأسها علوان الحاج سعدون والتى

كانت تميل لجبهة المدفعي ستغزو القبائل التي يرأسها الحاج عبدالواحد الحاج سكر التي ناصرت ياسين الهاشمي واتت به الى الحكم وكانت من احلافه .

وقبيلة (آل فتلة) تنشطر في جنوب الكوفة الى شطرين ، احدهما يقيم في (المشخاب) ، وهذا الشطر واحلافه يؤلف جبهة قوية ليس من الهين اخضاعها ، اما الشطر الثاني فهو الذي يقيم في المهناوية وهو محاط بقبائل مناوئة له ، وعلى أثر هذه الاشاعة كان لابد ان تتأثر ـ اول ما تتأثر ـ قبيلة آل فتلة التي تسكن المهناوية (الشامية) بالنظر لقلة عددها وسط تلك القبائل المناوئة لها ، وكان الجو قد اكفهر ، واوشكت الواقعة ان تقع يوم جاءني عبيد آل عبدالسادة وهو أحد مشايخ آل فتلة (المهناوية) وخال اركان العبادي ، لقد جاءني هو والسيد هاشم الزاملي في نحو الساعة الحادية عشرة ليلا وبسطا لي القضية وقالا ان الامر في غاية الخطورة فاذا وقعت الواقعة بين العشائر المتخاصمة وقعت البلاد في حرب اهلية لايعرف مداها غير الله ، وقالا لي انهما لن يبرحا من بيتي حتى يطمئنا بانني استطعت ان احمل الامام الشيخ محمد الحسين على التدخل في الامر ، وكان الشيخ محمد الحسين قد بدأ يشيح بوجهه عن تلك القبائل التي قامت ـ أول ما قامت ـ على تأييده وبدأت هي الاخرى تتنكر له ، وهنا تركت السيد هاشم وعبيد آل عبدالسادة في بيتي وجئت الشيخ في ذلك الوقت من الليل ، وشرحت له الكيفية ، وطلبت منه ان يوفد من قبله شخصا الى الشامية لمعالجة الحالة والحيلولة بين هجوم قبائل الشامية احلاف المدفعي على آل فتلة احلاف الهاشمي .

واصر الشيخ على ايفادي انا من قبله رسولا الى الشامية ، وعبثا حاولت التملص ، ولكي يحملني على الموافقة حملا طلب من جعفر الاعسم ان يرافقني في هذه المهمة ، فسرت معه برسالة من الشيخ وانا مكره ، ولم يصبح الصباح حتى كنا في الشامية ، وكان اجتماع الشيوخ والرؤوساء في بيت الحاج رايح ، وادلى كل واحد من الشيوخ برأيه في القضية ، وكان مرزوق العواد اصلبهم عودا ، وأشدهم حماسا ، وقد اتهمني هناك بانني انما يهمني من الامر هو مايهم آل فتلة

ـ بصفتى صديقا لهم ـ وليس للمصلحة العامة فى مجيئى اليهم اصبع او شأن ، وساءنى فى ذلك المجلس ما جوبهت به من لدن مرزوق ، ولكن علوان الحاج سعدون والحاج رايح قد طيبا خاطرى ، وأكدا لى ان الجميع سيحترمون امر الشيخ ، ولن يبدر منهم نحو هذه القبيلة أية بادرة ورجوا ان ابلغ الشيخ بان اقل ما ينتظرون منه هو التخلى نهائيا عن تأييد سياسة ياسين الهاشمى ذلك لانهم لم يكونوا قد اعتقدوا بعد تماما بان الشيخ كان قد كف عن التدخل ، وانه ليس على صفاء مع اولئك ، خصوصا عندما تجلى له اى للشيخ ان الجماعة التى ايدها كانت ترمى الى هدف حزبى ليس له دخل بما كان يهدف هو اليه من الاصلاح الشامل وانهم قد قلبوا له ظهر المجن .

وفسر ذهابى الى الشامية عند الحكومة تفسيرا غير صحيح ، وجاء فى تقرير (القضاء) والشرطة ، اننى كنت الوسيط الوحيد بين على جودة الايوبى وجميل المدفعى ـ اللذين كانا يعملان متحدين ـ من جهة ، وبين الشيخ محمد الحسين وبين هذه العشائر من جهة ثانية بقصد اثارتها ، وهياجها فى وجه وزارة الهاشمى ، فكان من نتائج ذلك تعطيل جريدة (الراعى) ، وملاحقتى من قبل الحكومة كما مرت الاشارة الى ذلك ، والمضحك فى الامر هو اننى لم اكن يومذاك اعرف السيد على جودة الايوبى ، ولم التق به ، بل لم ار وجهه .. والغريب اننى لم يتفق لى الاجتماع به الا فى سنة ١٩٥٨ أى بعد اربع وعشرين سنة من هذا الحادث ..!! حين اتصل بى تلفونيا مبديا اعجابه بكتابى (كنت معهم فى السجن) الذى قال لى انه لم يتسن له ان يقرأه الا فى هذه الايام فاحب ان يتفضل بتسجيل اعجابه ، وهنا تمت المعرفة بينى وبينه ..!! لاول مرة عن طريق التلفون .

أما جميل المدفعى فانه لم يتفق لى التعرف به ، والتحدث اليه الى ان مات ... ولكن من يستطيع ان يقنع الشرطة ؟ ومن يستطيع ان يبدل عقلية الحكومة وطراز تفكيرها ..؟؟

قلت ان الشيخ محمد الحسين كان طيب القلب ، نقى السريرة طاهر النفس ، فكانت هذه الصفات تساعد كثيرا على تقبله الاقوال ممن يضع ثقته فيهم .

ولقد استطاع صالح حمام ـ وقد كان قائممقام النجف حينئذ ـ لقد استطاع ان يكسب ثقته وان يفهمه عنى بانى لم اذهب الى الشامية الا لاغراض سياسية تخصنى ... ونسى الشيخ رحمه الله انه هو الذى اوفدنى ، وانه هو الذى الح على فى الذهاب الى الشامية واننى كنت مكرها فى الامر ، لقد نسى ذلك كله فراح يحوقل ... ويظهر العجب ... وقد بلغتنى حوقلته فانقطعت عنه سنة كاملة اظهر لى فيها العطف الكثير ، وحاول ان يعرف سبب القطيعة حتى تم ذلك عن طريق الشيخ قاسم محى الدين الذى تعهد للشيخ بان يحملنى اليه حملا وان يجعلنى كما كنت اولا ـ مشمولا بلطفه وعطفه ، وأكد لى هناك الامام انه لم يتقبل من صالح حمام اقواله فى وكل ما فعلت اقوال صالح انها اثارت عنده الدهشة والاستغراب ..!! ولكنه لم يصدق ماقيل وكان يريد ان يعرف الاسباب التى حملت الحكومة على ان تقول فى ما قالت ولكننى انقطعت عنه ...

وكان من تأثير صالح حمام على الشيخ ان حمله حين تضعضعت ثقة الحكومة (بحمام) وكثرت شكاوى الناس منه ومما استعمل من اساليب للضغط على الحريات ، والتدخل فى شؤون البلد ، بسبب ما استمد من قوة صالح جبر وسعد صالح وثقتهما فيه فى اول الامر ، لقد حمل صالح حمام الشيخ كاشف الغطاء على ان يبرق للحكومة برقية هذا نصها :

« صالح ، صالح للبلاد »

هذا فى الوقت الذى كان الشيخ قد امتنع من الاتصال بالحكومة وكان غاضبا عليها ..!!

وتذكرنى تورية اسم (صالح) باسلوب الشيخ الذى قلما خلا من البراعات الفنية التى يتضمنها الجناس والتورية وسائر ضروب البديع وهو يرسل ذلك عفو الخاطر وبدون قصد كلون من الوان سرعة البديهة الطبيعية .

ولقد كنت حاضرا المجلس الذى ضمه وضم الاستاذ أحمد أمين فى النجف ، وكان الشيخ قد ناقش أحمد أمين وعاتبه على ما اورد فى كتاب (فجر الاسلام) عن الشيعة ، ثم انتقل الحديث الى الشعر فسأل أحمد أمين الشيخ عن تاريخ نظمه لاحدى

قصائده التى تخص زيارته لمصر ، و كانت قوافيها (عينية) و كان من تلك القوافى (البزوغ والنزوغ) قائلا :

– متى كان هذا (البزوغ والنزوغ) الذى اوردتموه فى قصيدتكم عن مصر؟

فقال الشيخ – لقد كان ذلك قبل بزوغ (فجر الاسلام) ونزوغه .

فضحك احمد أمين وأقسم انه لم يرد بهذا السؤال التعريض والغمز ، فأيده الشيخ وقال – وانه هو كذلك لم يقصد الا الدعابة .

ولقد كتب الشيخ مرة الى السيد عباس شبر موصيا اياه بشخص امى قروى ولكنه كان كريم النفس أبيا ومعروفا بالشهامة ، قائلا : « انه أبى ولكنه امى » .

ومن البراعات الادبية التى اتصف بها أدبه هو الايجاز ، فقد كان يحسن فن الايجاز ويتقنه لحد يثير الدهشة ولقد رويت لفنون ايجازه نصوص ذات قيمة فى معرض الامثلة .

وسئل مرة وهو يتسلق جبل (صافى) الرابض على صدر مدينة (جباع) بلبنان، وكان على القمة من هذا الجبل مدفن ولىّ يسمى (بالصافى) وقد كثرت فيه الاقوال والاحاديث ، ورويت عن معجزاته الروايات ، وهو محل يرتاده الكثير بقصد الزيارة والمثوبة ، وبقصد التمتع بتلك المناظر الزاهية الجميلة من فوق مدينة جباع .

لقد سئل الامام الشيخ محمد الحسين وهو يتسلق هذا الجبل باتجاه مرقد (صافى) لقد سئل عن حقيقة هذا الولى وقيمته القدسية ، وكان التعب قد اعيا الشيخ وهو يصعد فقال وهو يضحك :

– « يا صافى ما اكثر اتعابك ، واقل ثوابك »

وكان ايجازه هذا كافيا لتجريح تلك الاقوال والشهادات بقدسية الولى (صافى) ومعجزاته ، وقيمته الدينية ، وظل اهل جباع يغرغون فى مسامع الصاعدين الى (صافى) بقصد التقرب الى الله ظلوا يغرغون فى مسامع الصاعدين قول كاشف الغطاء : –

« ياصافى ما اكثر اتعابك واقل ثوابك » .

وتمكنه من الشعر لايقل عن تمكنه من النثر ولربما حوت رسائله الخاصة الكثير من شعر المناسبات الذى يرسله عفو الخاطر كما حوت الكثير من صنوف البديع والجناس والتورية المرتجلة وهى رسائل تعبر عن الاساليب الادبية التى تجمع بين الشعر والنثر فى الجيل المتقدم ولم يترك لنا منها صورا لانه لم يتعود ان يجعل لرسائله مسودات ، لذلك حرص الذين رافقهم التوفيق بمكاتبته على رسائله هذه التى تعد من ازخر الاثار الادبية بالفن ، والبراعة الدالة على منتهى ما يتصور الانسان من مقدرة تحكيها عصارة فن مليىء بالابداع ، وافكار غاية فى السمو ، مع انه ليس غير أدب مرتجل يسيل به القلم كما يسيل العسل من الانحاء اذا فتحتها وكثيرا ما جمعتنى الصدفة به وهو يحبر رسالة الى احد فاستغل هذه الفرصة وانقل من تلك الرسائل شيئا حتى اجتمع عندى شىء غير قليل من هذه الصور الحية ، وهذه احدى رسائله التى كتبها لامين خالص حين دعاه ليقضى اياما من الصيف عنده فى الشمال يوم كان امين خالص متصرفا بكركوك اثبتها هنا كنموذج لما كان يفيض به ادبه المرتجل على الورق بدون مسودة ، وكصورة من اروع الصور الفنية ، وازخرها بالمعانى والافكار لادب الجيل الماضى الذى ظل ينسج على منواله الكثير من علماء الادب حتى اليوم .

«سلام شائق ، ودعاء وامق ، وتحية مخلص

وردنى كتابك الكريم ، وكنت انتظره انتظار العليل للشفاء ، او الارض المجدبة لماء السماء ، فاعاد لنا تلك الذكريات الطيبة ، والسويعات المنعشة ، التى هى صفوة العمر ، بل هى العمر ، وما نسيناكم فاقول بكتابكم ذكرناكم ... ولكنى -

ذكرتكم ذكر الزلال على الظما ... فلم انتفع من برده ببلال
اسائل عمن لا احب وانما ... اريدكم من بينهم بسؤالى
واطوى على حر السعير جوانحى ... واظهر للعذال انى سالى
ولا والذى عافاكم وابتلى بكم ... فؤادى ما مر السلو ببالى

اما دعوتكم لنا ان نزوركم ، فهى دعوة اخ شقيق ، بل دعوة ولد بار ، لاب أبر ، وما احوج هذا الجسد النحيف الذى صار كعود الخلال ، او من عالم المثال ،

فما احوجه الى المتع بتلك المناظر البديعة التى نوهت عنها بكتابك الذى التقط الفاظه من تلك الازهار ، وقوة معانيه من تلك الصخور والاحجار ، ورقة اساليبه من نسمات هاتيك الاسحار ، وما الازهار الا سجاياك ، وما الانهار العذبة الا طباعك ، وما الاقاح والشقيق والعبهر الاحديث ، وقديمك ، وما الخمائل الا تلك الشمائل .

نعم ما احوجنى الى التمتع بالمنعشات الثلاثة ـ بلادك ، ورؤياك ، وحديثك ، ولكن أنى لى بان تسعدنى الظروف والاقدار بهذه الامانى والاوطار » وكيف يطير مقصوص الجناح؟ » .

وانا ـ:

اهم بامر والليالى كانما تطاردنى عن نيله واطارد

نعم ايها العزيز

ليهنك عيش بالشمال منعم فبعدك عيش بالجنوب منكد

بودى لو أنى ازورك ساعة لعلى منها نظرة اتزود

ونعماك فى تلك الورود فاننى على حسك البلوى اقوم واقعد

رضينا بان تبلى الليالى جديدنا اذا كانت النعمى لكم تتجدد

وانت ايها الاديب اللبيب تعلم انى لست من الشعر ولا قلامة ظفر ، ولكنها اشجان تهيج فى الفكر ، فتملى على اليراع تلك الشذرات التى هى من ذوب الفؤاد ، وصبابة القلب ، جرت على عفو الخاطر ، وجرى القلم ، ولعلها دون ما تجنه الجوانح وبعض ما فى النفس » .

وبعد كل ذلك فاكثر مايعجبك من الشيخ هذا الجلد والصبر على العناء والاجهاد ، فهو بالاضافة الى كثرة مراجعيه والوقوف على بابه ، وخروجه للصلاة بالناس ظهرا وعشاء والقائه سلسلة من البحوث فى كل مساء فان معدل ما يتلقى فى اليوم ليتراوح بين خمسين او ستين رسالة ، وقد يتجاوز المعدل فى بعض المواسم المائة رسالة تأتيه من مختلف الاقطار الاسلامية ، وحتى من الاقطار الافريقية ،

والامير كين ومعظمها استفتاءآت شرعية ، ومسائل اجتماعية ، وأدبية ، كان يقرؤها جميعا ويجيب عليها بنفسه وكان الكثير من تلك الاجوبة يكتبها على نفس الرسالة ، ويعيدها الى صاحبها ، وكنت اوى بعض هذه الرسائل حين تتاح لى الفرصة ، فاستأذنه فى نقلها الى قراء الهاتف ، وقد نقلت قطعا ادبية رائعة من اجوبته فى الكثير من المناسبات فى جريدتى وكان بين تلك الرسائل والاستفتاءات رسائل من مختلف المذاهب والاديان ، وكثير منها كانت ترد اليه من رجالات العلم والادب المسيحيين المقيمين بلبنان والمهاجرين منهم ، وكان يجيب على كل منها فى حدود مستواها ، ومضمونها ، لذلك قل العلماء الذين تم الانتفاع بهم فقها ، وادبا ، واخلاقا ، من امثال الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، ثم هو من الجرأة بحيث لايهاب احدا ولا يحترم قوة فى الوجود اذا ما تنكبت طريق الحق والمنطق ، واذا ماعرض له ان يغير ويبدل ويعدل فليس ذلك على حساب التهيب ، والخوف ، وانما على حساب المصلحة التى تبدو له ، والمقتضيات التى تعرض امامه والا فهو ابعد الناس عن تهيب الرأى العام او السلطة الغاشمة ، وقد نمت هذه الجرأة مع نموه وحسبت لها الحكومة فى مختلف ادوارها حسابها الكامل .

اردت ذات يوم ان اقوم بدعوة منظمة لتهذيب خطباء المنابر الحسينية فى جريدة الهاتف ، فقد بلغت المهزلة حدا لايطاق من جراء صعود عدد من اشباه الامين المنابر الحسينية ، والاتيان باحاديث ملفقة مكذوبة على الله ، ورسوله . واوليائه ، وجئت الى الشيخ مستفتيا عن رأيه فى هؤلاء الذين يرقون المنابر على هذه الكيفية ، والذين كثيرا ما يسمعهم الشيخ بنفسه ، فرأيته يكاد ينفجر غيظا ، وقد صب جام غضبه عليهم ، وعلى الذين يستقرؤونهم فى بيوتهم وهم يعلمون شأنهم ، ويعرفون عجزهم فاستكتبته ، فكتب لى رأيه فيهم ، واعتبر الاصغاء الى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع الى خطبهم من الامور المحرمة التى لايجيزها الشرع بوجه من الوجوه ، وقد حدد فى هذه الفتوى مؤهلات الخطيب وواجبه تحديدا جيدا دون ان يهتم بالرأى العام وما يمكن ان ينتهى اليه الامر .

ولما كنت اعلم بخطورة المهمة التى اقوم بها نظرا لكثرة عدد هؤلاء الذين

سيصبحون خصوما للجريدة ، اندفعت اعد العدة وابحث عن الكتاب والمساعدين الذين يمكن التعاون معهم فى هذه الحملة وتهيأت لى اسباب الحملة عند بعض المفكرين من الروحانيين ، وكانت جماعة (منتدى النشر) فى طليعة المؤمنين بالفكرة، وكان الشيخ محمد الشريعة ، اشدهم ايمانا ، واجرأهم فى الصرخة ، وكانت جمعية منتدى النشر قد تهيأت لذلك فى فتح صف من صفوفها المدرسية لاعداد خطباء تتوفر فيهم هذه الشروط ، ولقد رجحت انا ان استعين بعد ذلك فى هذه الصرخة التى نويت ان اصرخ بها بخطباء المنابر المثقفين ثقافة عالية ، وممن لن يكونوا مشمولين بفتوى تحريم صعودهم المنابر ، وكنت احسب ان الخطيب الشهير الشيخ محمدعلى اليعقوبى سيكون فى مقدمة هؤلاء الذين يمكن الاستعانة بهم فى هذه الحملة ، ولكن شيئا من (انبرودة) حينذاك كان مستحكما بينى وبين اليعقوبى حمله على ان يطلب مواجهة الشيخ محمد الحسين ويقنعه بان يسحب منى تلك الفتوى التى لو كانت قد نشرت لاضافت حسنة اخرى الى حسنات الشيخ محمد الحسين الكبيرة والكثيرة العدد فى ميدان الاصلاح الدينى ، والاجتماعى ، وقد لقى الشيخ محمد على اليعقوبى نفسه من اولئك الزعانف المحسوبين على رجال المنابر ، والذين دافع عنهم اليعقوبى الامرين فيما بعد ، وقد جوزى منهم بما جوزى سنمار ، ويستطيع المرء ان يعلل موافقة الامام كاشف الغطاء بسحب الفتوى منى بمختلف التعليلات والاسباب ماعدا الخوف من الرأى العام ، ذلك لان الامام فى سنيه الاخيرة قد برهن على انه لايهاب سلطة ، ولا يخشى مجتمعا ، ولا يهتم بتهديد .

والشيخ كاشف الغطاء اول داع للاصلاح الدينى ، والاصلاح الاجتماعى ، واول مجتهد اتقن اداء مهمة الاجتهاد ضمن حدود الامكان ، لذلك كان من الغريب ان يعدل عن رأيه ، ويسحب الفتوى منى .

ومشت جمعية المنتدى فى أمر اصلاح خطباء المنابر وفتحت صفا خاصا للخطباء وكانت للشيخ محمد الشريعة وقفته التى لاتنسى ، واحدثت هذه الوقفة ، ضجة كبيرة فى وسط النجف لم يعبء بها الشيخ محمد الشريعة ولم يلن ، ولم

يتضعضع ، وتبلورت الضجة والنقمة على جمعية المنتدى حتى صارت ثورة فلم يزد الشيخ محمد الشريعة ذلك الا ثباتا واستهزاء بالتهديد الذى لقيه ، ولم يكن الشيخ محمد رضا المظفر ، عميد المنتدى حاضرا فى النجف يومها فاصاب اعضاء المنتدى امام تلك الثورة شيء من الخور فقرروا ايقاف حركتهم الاصلاحية بالاجماع ولم يعارض هذا القرار الا الشيخ محمد الشريعة .

ولو كان المشروع قد نجح لكنا قد حصلنا على عدد اكبر من نظراء الخطيب الشيخ احمد الوائلى والخطيب السيد جواد شبر وغيرهما ممن انجبتهم جمعيـــة منتدى النشر .

* * *

اقول ان الشيخ محمد الحسين كان اول داع للاصلاح الدينى والاصـــلاح الاجتماعى ، وكان يتمتع بسليقة قل ان تمتع بها زعيم روحانى فى استنباط الاحكام ، فلقد لامنى حين سمعنى اخطب فى حفلة تأبين السيد ابى الحسن الاصفهانى حـين قلت « ان السيد ابا الحسن كان اول مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة مـن زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات» . فقال لى الشيخ محمد الحسين « بل انا الذى كنت اول من حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول وكان ذلك قبل حكم السيد ابى الحسن بسنوات» فيكون الشيخ بناء على ذلك اول من اخذ الحق ـ حق الطلاق المفروض ان يكون بيد من اخذ بالساق ـ من الرجل وطلق الزوجة دون اخـذ موافقة الزوج ، فسألته عن المسوغ ؟ عن المسوغ الشرعى لا المـــدنى طبعا الذى يبيح له اصدار مثل هذا الحكم بينما لم يسبق لاحد من الائمة فضلا عن العلماء من استطاع ان يفتى بمثل هذا او ما يشبهه ؟

فاجابنى بكل ثقة وصرامة قائلا : « ان المجتهد مشرع يا عمى ؟ » ..!!

ومن هذا يستبان ان الشيخ كان يعطى الاجتهاد حقا لم يعطه احد قبله مـن الفقهاء .

ومع ذلك فقد كانت له اراء شرعية لم يتح له ان يخرجها على رغم جرأته فلقد

قال لى مرة وانا أسأله عن الامام الثانى عشر (صاحب الزمان) والخصائص المذهبية الواردة عنه لقد قال لى :

« ان الاعتراف بوجوده على هذا النحو ليس من الضروريات» ..!!

ومن هذه الآراء ايضا انكاره (للرجعة) وقد اورد ذلك فى الطبعة الاولى من كتاب (اصل الشيعة واصولها) ثم اضطر الى اغفال ذلك فى الطبعات الاخرى بسبب الضجة التى احدثها رأيه هذا على ماقيل .

ولكنى اعتقد ان ذلك كان قبل عدة سنوات وقبل ان ترسخ قدمه فى ميدان الزعامة اذا صح ، لانى وجدته اجرأ الزعماء فى السنين الاخيرة .

وقال لى مرة اذا كانت فى الاسلام احكام لاينبغى ان تتبدل وتتغير على مدى الايام ، فان هنالك احكاما تستلزم التبديل والتغيير اذا تطلبها العقل ، والمنطق ، والمستلزمات الشرعية ، ولكن الكثير من المجتهدين ـ تعوزهم السليقة ليجروا مثل هذا التبديل ، والتغيير ، فتظل تلك الاحكام جامدة وبعيدة عن الهدف الذى يرمى اليه الشرع .

وقال خذ مثلا وصية الميت التى يوصى فيها بانفاق ما يخصه من ثلثه على بناء (السبيل) وهو محل لعرض الماء مجانا للشرب فى طريق القوافل ، وفى مداخل المدن ، كما كان يفعل المسلمون فى العصور السابقة اجابة لحض الدين عليه ، وطلبا للمثوبة قال : فهل من المعقول او هل من الشرع ان تنفذ وصية الميت بعد ان توفرت اليوم مياه الشرب فى كل مكان ، واصبحت وسائط النقل من السرعة والسهولة بحيث يفطر الانسان صباحا فى البصرة ويتغدى ظهرا فى القاهرة هل من الشرع ان تنفذ هذه الوصية لمجرد انها وصية يجب على الوصى تنفيذها ؟

وقال : لقد كان بناء المساجد فى العصور الاسلامية السابقة ، من اقرب المقربات الى الله ، يوم كان المسجد محلا لاداء الصلاة ، ومدرسة يقوم فيها الطلاب بتلقى العلوم ، ومنتدى يجتمع فيها المسلمون فى كثير من المناسبات وملجأ للغرباء الذين يفدون على المدينة ، ويوم كانت ابواب المساجد بمثابة الجرائد تلصق عليها الاعلانات، عن فقدان حاجة ، او العثور على حاجة ، وغير ذلك من الاغراض ، فهل يمكن ان

تكون المثوبة فى بناء هذه المساجد ـ اذا زاد عدد المساجد عن الحاجة ـ هى عين المثوبة بعد ان فتحت المدارس الكافية ، وتأسست المستشفيات وبنيت الاندية ، وتكاثرت المرافق الاجتماعية والمؤسسات التعاونية ، لو ان رجلا اوصى بان ينفق من ماله الخاص به (اى من ثلثه) على بناء مسجدين او اكثر فى المدينة ؟

قال اننى لا اعتقد ان المثوبة الحاصلة اليوم من تأسيس (سبيل) للماء ، وبناء مسجد ، هى عين المثوبة السابقة ، فالاسلام يوم كان يحض على اقامة المساجد وتعميرها كان يبتغى منها كل تلك الفوائد التى ذكرت وأكثر من نشر دعوته والتبشير بسننه العادلة ، وايصال صوته الى الغاطين عما يرمى اليه الاسلام الصحيح من هدف عملى فى حياة الانسان العامة ، لذلك .. (قال الشيخ) .. لذلك قد حملت مرة احد الاثرياء من رؤساء العشائر وكان قد جاءنى ليأخذ رأيى فى بناء مسجد فى قريته ، وكان فيها مسجد آخر لقد حملته على ان يبنى بعض الغرف فى مصح (حمانا) ويهديها مجانا للمسلولين العراقيين ، وقلت له ان الثواب فى ذلك عند الله اكثر واكبر مادام فى قريته مسجد يكفى لاداء المهمة كما تحققت ، وقد علمت انه بنى غرفة او غرفتين فى مصح (حمانا) ، وان افاضة المساجد عن الحاجة ـ كما قال الشيخ ـ هو الزائد الذى قيل عنه انه كالناقص ، وهو الذى يلزم المجتهد باعادة النظر فى الحكم ، ولقد تسبب من عدم ادراك الناس ، وعدم تصدى المجتهدين لافهام بناة المساجد ، ان كثر عدد هذه المساجد واصبح الكثير منها مقفلا ومهملا ولحق من جراء ذلك شىء من الاهانة بالطقوس الاسلامية فضلا عن ضياع المال وانفاقه سدى .

ولم اجد شخصا يعدل عن رأيه بالسرعة التى يعدل الشيخ محمد الحسين عن رأيه حين تتضح له الحقيقة ، ويتجلى له الحق ، وكثيرا بل واكثر من الكثير الذى رأيت فيه الامام يدلى برأى خاص كان يؤمن به منذ زمن ثم لم يكتف بتغيير رأيه وانما راح يدل الاخرين على المواطن التى لم يصب فيها من قبل ، واذا تبجح الكثير بما قد اصابوا فى كثير من الاراء فانه ليسرد لك فى المناسبة كثيرا من المواقف التى التبس فيها عليه الامر ..! وهى صفة تزيدة انعلماء المحققين .

زرته ذات ليلة بمستشفى الكرخ ببغداد فالفيت عنده جمعا من المشايخ والوجوه وكانت صحته مما تسمح بالجلوس للناس وقد وجدت الجمع يخوض فى بحث كتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور على الوردى الذى كان قد صدر منذ ايام قريبة ولم يترك أحد من الجالسين شيئا لم يقله عن افساد الوردى لافكار الناس ، وكفره ، واستهزائه بالدين والائمة الذى تضمنه كتابه على حد رأيهم ، وكان الشيخ يحتدم غيظا ، ويحوقل ، ويستعيذ ، وقد علمت ان ارشد العمرى كان عند الشيخ منذ دقائق فافرغ الشيخ غضبه فى اذن العمرى ، ولم يترك العمرى الشيخ حتى وعده وعدا اكيدا بأنه سيتخذ جميع الاجراءآت الممكنة فى حق الدكتور على الوردى وفى حق كتابه هذا اذا ما اصبح الصباح ...

وكنت قد فرغت من مطالعة الكتاب المذكور فى ذلك اليوم ، او اليوم الذى قبله ، فانبريت الى القوم افند ادعاءهم ، واروى للشيخ آراء الوردى على حقيقتها ، وكان ردى على اولئك المتحمسين فى هجومهم على الوردى عنيفا وكان دليلى او قل تأثيرى على الشيخ قويا ، بالرغم من اننى كنت واحدا ، وكانت الحاشية التى احاطت الشيخ جمعا كبيرا . وفيهم بعض الشعراء والادباء اللبقون المعروفون فلقد قلت للشيخ :

ـ او لم تنعتنى باكثر مما استحق من نعوت ادبية فنية كدت ترفعنى بها الى الضراح الارفع ؟ ـ وكان الشيخ قد كتب مقدمة كتابى « عندما كنت قاضيا » المطبوع فاضفى على وعلى جريدتى ـ الهاتف ـ بالشىء الكثير مما لا استحق من ثناء وصفات سواء فى طبعة الكتاب الاولى او الثانية ؟ ـ

قال ـ بلى .

قلت ـ تناس كل ذلك ياعمى ... واعتبرنى قارئا يحسن فهم ما يقرأ على الاقل ... وانا اوكد لسيدى العم اننى قرأت الكتاب من الفه الى يائه فلم اجد فيه شيئا ولا شبه شىء مما يقول هؤلاء القوم ، وانا واثق بانك لن تخرج بغير هذه النتيجة او باقل مما خرجت بها انا حين يتسنى لك الاطلاع على الكتاب بنفسك .

فانطلقت اساريري الشيخ هنا ، وهدأ .. ولم اتركه حتى حملته على ان يوفد احدا فى تلك الليلة الى ارشد العمرى ليخبره بانه كان قد تسرع فى طلبه بمعاقبة الدكتور الوردى لانه لم يكن قد قرأ الكتاب بعد ... وعلى انى لم اسمع رأى الشيخ بعد قرائته كتاب الوردى ولكنى كنت واثقا بانه سيؤيدنى فى الكثير مما قلت عن هذا الكتاب اذا ما اتم قراءته ، ذلك لانه لم يوجد بين كبار علمائنا المتأخرين من كانت له مثل هذه الاحاطة الفقهية ، والادبية ، وحسن السليقة التى عرف بها الشيخ كاشف الغطاء ، فقد كان بدون شك اكبر علماء عصره الروحانيين ، وكان افضلهم فى جميع مراتب الاجتهاد ، ولكن امورا خاصة تتعلق بشؤون الزعامة هى التى لم تجعل الانفراد فى زعامة الشيعة اليه وحده ، وامورا تخصه نفسه هى التى لم تدعه ان يشغل المكان اللائق به كأكبر زعيم روحانى فى العصر الاخير .

وفى اثناء الحرب الثانية كان على رأس مديرية الدعاية والنشر السيد كمال عبدالمجيد وكان قد حرم جريدة الهاتف ـ لسبب ليس هذا محل ذكره ـ من تخصيص حصة لها من الورق بينما كانت لجميع الصحف حصص معينة ، فكنت اشترى ورق الصحف من السوق السوداء ، ومن الصحف التى كانت تشترى (البند) من حصتها بنصف دينار او اكثر قليلا . فاشتريه انا منها بتسعة دنانير ... حتى اشتريت مرة البند الواحد بأحد عشر دينارا ... ولم ادع (الهاتف) يتوقف عن الصدور فكان (الهاتف) يعانى ازمة شديدة حملت السيد (ابا الحسن) الزعيم الروحانى الاكبر على ان يخص الهاتف بمقدار من الورق الذى جلب له لكى يطبع به رسالته الدينية ، ويبدو ان الامر قد بلغ الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء فبعث لى بمبلغ من المال مصحوبا بالرسالة التالية :

« عزيزى اعزك الله بعزه ومدك بعنايته

انت تعلم ان صحيفتك الغراء منذ فجر نشئتها الى اليوم تصلنا تباعا ، ونحن وان كنا نساعدها بالمساعدات الادبية من تنويه ، وتحبيذ ، وغيرها ، ولكن لم يتفق لنا طول تلك المدة من مساعدتها مساعدة مادية ، وعلى اثر ازمة الورق ، وغلاء الاجور ، كنت اود ان اضع لى فى تلك المائدة اصبعا ان لم تكن يدا ، لذلك تجاسرت

(كذا) بتقديم هذا المبلغ الضئيل ، ولك الفضل فى قبوله (كذا) ولا يحسب مولاى (كذا) ان لهذا علاقة بأية قضية ، فالله شهيد انه من خالص ما فى يدى ، وكن على ثقة بان دعائى ، ودعايتى ، هى خير لك من اضعاف هذا المبلغ قل ام كثر ، والله يحفظك ويرعاك بدعاء ابيك الروحانى البار » .

٣٠ شعبان ٣٦١ محمد الحسين

وقد زرته بعد تسلمى المبلغ والرسالة بساعة واحدة ، ولاول مرة أقبل يده ، لانى لا اذكر انى قبلت يد احد غير يدى ابوى واخى الكبير حين بدأت اشعر ، لقد قبلت يده لانى لم اجد وسيلة تحمله على قبول استرجاع المبلغ منى بغير هذا النحو من الالتماس الذى عبرت فيه له عن غاية امتنانى ، وشكرى ، ورجوت منه اعفائى عن قبول المبلغ ، ولم ازل به حتى وافق على ذلك مكرها ، ومرة اخرى قبلت يده حين تفضل وزارنى فى بيتى على أثر تصميمى على الانتقال (بالهاتف) الى بغداد ليحول بينى وبين هذا التصميم ، فكان تقبيل يده بمثابة آخر ما فى كنانتى من وسيلة فى الرجاء منه بتركى وشأنى ، ولقد لقيت من لدنه الشىء الكثير من الرعاية ، والعطف طوال السنين التى اتيح لى فيها التشرف بالاتصال به وهى رعاية وعناية قلما لقيها شبه متمرد مثلى ، من زعيم روحانى كبير مثله .

لقد كان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء نسيج وحده علما ، وأدبا ، وفنا وكان زعيما روحيا فذا ومصلحا كبيرا سيظل التاريخ زمنا طويلا يبحث عن نظير له بين جماعة الروحانيين فلا يوفق وقلما شوهد شخص يجمع بين عدد غير قليل من زعامات انفرد بها فى العالم الاسلامى والعالم العربى ، فقد كان زعيما روحيا ، واسع الاطلاع تخرج الكثير من العلماء على يديه ، وكان منهم السيد محسن الحكيم المرجع الروحانى الاكبر اليوم ، وكان خطيبا قل نظيره من حيث بلاغة الكلام ، وفصاحة اللفظ ، ونفوذ معانيه الى قلوب مستمعيه ، وكان زعيما من اكبر الزعماء فى عالم الادب ، شعرا ، ونثرا ، ثم هو بعد ذلك محدث بارع ، ماخلا حديثه من

الملح الادبية ، وانكت الفنية ، اما الشخصية فحدث عنها ولا حرج ، ولقد انجبت اسرة كاشف الغطاء عددا كبيرا من نوابغ اهل العلم والادب ولكن الشيخ محمد الحسين كان من انبغ من انجبت النجف فى تأريخها الطويل العريض •

وافته المنية وانا اصطاف فى ايران ولم تغننى تلك العيون الثرة التى هطلت على ثراه من دموع المسلمين الذين حضروا تشييعه الذى قل مثيله فى التاريخ •

اجل لم تغننى تلك الدموع الغزيرة الثرة عن ان اذيب قلبى فاسكبه من بعيد قطرات ظلت وستظل رمزا لكآبة عميقة ، وحزن ممض ، وجرح لايندمل •

مكتبة الإمام
محمد الحسين آل كاشف الغطاء العامة
النجف - العراق

www.kashefalghtaa.com/site

info@kashefalghtaa.com

موبايل- ٠٧٨٠١٢٧٣٣٨٤ ارضي ٠٩٦٤-٠٣٣-٣٣٤١٤٤

النجف الاشرف- محلة العمارة- مجاور مدرسة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء- الدينية ومجاور مسجد ومقبرة أل كاشف الغطاء(قده)